وذلك على الله تعالى محال • فالجواب ان ذلك الوهم بالنسبة الينا والى
زماننا لا بالنسبة الى ما يكون في نفسه بمعزل عن حقيقة الانتقال
اذا كان المنتقل منزها عن الجانب والجهة قوله يعلم ما في السموات
والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون تقدم نظيره • قال ابن الخطيب
انه تعالى نبه بعلمه ما في السموات وما في الارض • ثم بعلمه ما يسر العباد
وما يعلنونه • ثم بعلمه ما في الصدور من الكليات والجزئيات على انه لا
يخفى عليه شيء البتة • ونظيره قوله لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض
ولا في السما • وقرا العامة بتا الخطاب في الحرفين • وروي عن ابي عمرو
وعاصم بيا الغيبة فيحتمل الالتفات ويحتمل الاخبار عن الغايبين
والله عليم بذات الصدور فهو عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه
شي قوله الم ياتكم نبا الذين كفروا من قبل الخطاب لقريش اي الم
ياتكم خبر كفار الامم السالفة فذاقوا وبال امرهم اي عوقبوا ولهم في
الاخرة عذاب اليم اي مولم قوله ذلك بانه الاشارة للنار والحديث
وكانت تاتيهم رسلهم خبرها • ومعنى الاشارة ان هذا العذاب لهم
بكفرهم بالرسل تاتيهم بالبينات اي بالدلايل الواضحة قوله ابشر
يهدوننا يجوز ان يرتفع بشر على الفاعلية ويكون من الاشتغال وهو
الارجح لان الاداة تطلب الفعل وان يكون مبتدا وخبرا وجمع الضمير
في يهدوننا اذ البشر اسم جنس انكروا ان يكون الرسول من البشر وقد
ياتي الواحد بمعنى الجمع فيكون اسما للجنس • وقد ياتي الجمع بمعنى الواحد
كقوله تعالى ما هذا بشرا قوله فكفروا اي بهذا القول اذ قالوه
استصغارا ولم يعلموا ان الله يبعث من يشا الى عباده • فان قيل
قوله فكفروا ايفهم منه التولي فما الحاجة الى ذكره • فالجواب قال
ابن الخطيب انهم كفروا وقالوا ابشر يهدوننا وهذا في معنى الانكار
والاعراض بالكلية وهذا هو التولي فكانهم كفروا وقالوا قولا يدل على
التولي فلهذا قال فكفروا وتولوا وقيل كفروا بالرسل وتولوا عن البرهان
واعرضوا عن الايمان والموعظة قوله واستغنى الله استغنى بمعنى
المجرد • وقال الزمخشري ظهر غناه فالسين ليست للطلب قال مقاتل
استغنى الله اي بسلطانه عن طاعة عباده • وقيل استغنى الله بما
اظهره لهم من البرهان واوضحه لهم من البيان عن زيادة تدعو
الى الرشد وتقود الى الهداية والله غني حميد غني عن خلقه حميد
في افعاله • فان قيل قوله وتولوا واستغنى الله يوهم وجود التولي والاستغنا
معا والله تعالى لم يزل غنيا • فاجاب الزمخشري بان معناه انه ظهر
استغنا الله حيث لم يلجيهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته
على ذلك • ثم اخبر عن انكارهم للبعث فقال عز وجل زعم الذين كفروا
ان لن يبعثوا اي ظنوا • والزعم هو القول بالظن • وقال الزمخشري
الزعم ادعا العلم ومنه قوله عليه الصلوة والسلام زعموا مطية الكذب
وقال شريح لكل شي كنية وكنية الكذب زعموا • وقيل نزلت في العاص
ابن وايل السهمي مع خباب كما تقدم في اخر سورة مريم ثم عمت كل كافر
قوله ان لن يبعثوا ان مخففة لا ناصبة لئلا يدخل ناصب على مثله
وان وما في خبرها سادة مسد المفعولين للزعم او المفعول قوله
بلى ايجاب للنفي وتبعثن جواب قسم مقدر اي لتخرجن من قبوركم احيا
ثم لتنبؤن لتخبرن بما عملتم اي باعمالكم وذلك على الله يسير اذ الاعادة
اسهل من الابتدا • فان قيل كيف يفيد القسم في اخباره عن البعث وهم قد

انكروا

انكروا الرسالة • قال ابن الخطيب • والجواب انهم انكروا الرسالة لكنهم
يعتقدون انه يعتقد ربه اعتقادا جازما لا يزيد عليه فيعلمون انه
لا يقدم على القسم بربه الا وان يكون صدق هذا الاخبار عنده اظهر
من الشمس في اعتقاده ثم انه اكد الخبر باللام والنون فكانه قسم بعد
قسم • ثم انه تعالى لما اخبر عن البعث والاعتراف بالبعث من لوازم
الايمان قال فامنوا بالله ورسوله وهذا يجوز ان يكون عطفا لما
تقدم لانه تعالى ذكر ما نزل من العقوبة بالامم الماضية وذلك لكفرهم
بالله وتكذيبهم للرسل فقال فامنوا انتم بالله ورسوله لئلا
ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة • وقال القرطبي قوله فامنوا بالله ورسوله
امرهم بالايمان بعد ان عرفهم قيام الساعة والنور الذي انزلنا وهو القران
لانه نور يهتدى به من ظلمة الضلال كما يهتدى بالنور في الظلمات • فان
قيل هلا قيل ونوره بالاضافة كما قال ورسوله • فالجواب ان الالف
واللام في النور بمعنى الاضافة فكانه قال ورسوله ونوره ثم قال
والله بما تعملون خبير اي بما تسرون وما تعلنون فراقبوه في السر
والعلانية قوله يوم يجمعكم منصوب بقوله لتنبؤن عند النحاس
وبخبير عند الحوفي لما فيه من معنى الوعيد كانه قال والله يعاقبكم
يوم يجمعكم وباذكر مضمرا عند الزمخشري فيكون مفعولا به او بما دل
عليه الكلام اي يتفاوتون يوم يجمعكم قاله ابو البقا • وقرا العامة
يجمعكم بفتح اليا وضم العين وروي سكونها واشمامها عن ابي عمرو وهذا
منقول عنه في الرا نحو ينصركم وبابه كما تقدم في البقرة • وقرا يعقوب
وسلام وزيد بن علي والشعبي ونصر وابن ابي اسحاق والجحدري نجمعكم بنون العظمة
اعتبارا بقوله والنور الذي انزلنا والمراد بيوم الجمع اي يوم القيامة يوم يجمع
الله الاولين والاخرين والانس والجن واهل السما واهل الارض • وقيل يوم
يجمع الله بين كل عبد وعمله • وقيل يجمع فيه بين الظالم والمظلوم وقيل
يجمع فيه بين كل نبي وامته وقيل يجمع فيه ثواب اهل الطاعات وعقاب
اهل المعاصي قوله ذلك يوم التغابن التغابن تفاعل من الغبن
في البيع والشرا على الاستعارة وهو اخذ الشي بدون قيمته • وقيل
الغبن الاخفا • ومنه غبن البيع لاستخفائه والتفاعل هنا من واحد
لا من اثنين ويقال غبنت الثوب وخبنته اي اخذت ما طال عنه
من مقدارك فهو نقص واخفا وفي التفسير هو ان يكتسب الرجل مالا
من غير وجهه فيرثه غيره فيعمل فيه بطاعة فيدخل الاول النار والثاني
الجنة بذلك المال فذلك هو الغبن المبين • والمغابن ما انثنى من
البدن نحو الابطين والفخذين • والمغبون من غبن في اهله ومنازله
في الجنة ويظهر يوميذ غبن كل كافر بترك الايمان وغبن كل مومن بتقصيره
في الاحسان وتضييعه الايام • قال الزجاج ويغبن من ارتفعت
منزلته في الجنة بالنسبة الى من هو اعلا منزلة منه • فان قيل فاي معاملة
وقعت بينهما حتى يقع الغبن فيها • فالجواب هو تمثيل الغبن في
الشرا والبيع كقوله اوليك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت
تجارتهم فلما ذكر ان الكفار اشتروا الضلالة بالهدى وما ربحوا في تجارتهم
بل خسروا ذكر ايضا انهم غبنوا وذلك ان اهل الجنة اشتروا الاخرة بترك
الدنيا واشترى اهل النار الدنيا بترك الاخرة وهذا نوع مبادلة اتساعا
ومجازا وقد فرق الله الخلق فرقتين فريقا للجنة وفريقا للنار • وقال
الحسن وقتادة بلغنا ان التغابن على ثلاثة اصناف رجل علم علما

Copyright ... University